الباب الأول

التطوع في الإسلام

إن القيم الاجتماعية وخاصة الدينية المتأصلة في المجتمع العربى ساعدت في تعميق روح العمل التطوعي فيه؛ لتجعله شعلة متقدة ومستمرة في المجتمع، حيث إن العمل التطوعي في الإسلام يحظى بالمكانة العالية؛ لأنه يرتكز على قاعدة اصيلة، ألا وهي الإيمان بالله، واليوم الآخر، ويرتكز على أسس وثوابت منها البر والإحسان لنيل رضي الله جل جلاله، ومحبته؛ لقول رسول الله فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى: «**مايزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه**»(رواه البخاري)، وذلك طمعاً للأجر والثواب من الله ﷻ، قاصداً بعمله وجه الله تعالى، وليس رياءً، وإنما طلباً للفوز بالجنة، والنجاة من النار، كما قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ (النحل: ٣٠).

تعريف العمل التطوعي:

يتكون العمل التطوعي من كلمتين (العمل) و(التطوع)، وسوف نوضح تعريف مفردات مصطلح العمل التطوعي ليوضح المفهوم بصورة شمولية.

- **العمل:** أصل الكلمة يعود إلى المهنة والفعل، واعتمل الرجل إذا عمل بنفسه، والعَمَلَة: القوم يعملون بأيديهم ضروباً من العمل.
- **ومعناه:** المجهود الذي يقوم به الفرد سواء كان ذهنياً أو بدنياً.
- **التطوع:** ما يتبرع به الفرد من ذات نفسه مما لا يلزمه فرضه.
- **واصطلاحاً:** هو التضحية بالوقت أو المال دون انتظار عائد مادي يوازي الجهد المبذول.

وفي ضوء ما سبق فإن العمل التطوعي تعريفاته كثيرة ومتنوعة ونذكر منها:

«الجهد المنظم الذي يقوم به الفرد والمجتمع بهدف تحقيق أعمال مشروعة دون فرض أو إلزام سواء أكان بذلاً مادياً أم عينياً أم بدنياً أم فكرياً، ودافع ذلك ابتغاء مرضات وجه الله تعالى عندنا نحن مسلمين أو دوافع إنسانية عند غير المسلمين.

«إن العمل التطوعي هو الجهد الذي يبذله أي إنسان بلا مقابل لمجتمعه بدافع منه؛ للإسهام في تحمل المسؤولية على تقديم الرعاية الاجتماعية».

«وهو الجهد الذي يبذله أي إنسان بلا مقابل لمجتمعه بدافع منه للإسهام في تحمل مسؤولية المؤسسة التي تعمل على تقديم الرعاية الاجتماعية».

إن التطوع حركة اجتماعية تهدف إلى تأكيد التعاون وإبراز الوجه الإنساني والحضاري للعلاقات الاجتماعية، وإبراز أهمية التفاني في البذل والعطاء عن طيب خاطر (دون إكراه أو إجبار).

وقد يكون هذا العمل على مستوى من الجهد الجسدي أو الفكري أو المادي.. لكن السؤال ما الذي يميز العمل التطوعي في أيامنا على أنه فكري أكثر أم جسدي أم مادي؟

يوصف العمل التطوعي بصفتين أساسيتين تجعلان من تأثيره قوياً في المجتمع في عملية التغيير الاجتماعي، وهما:

١- قيامه على أساس المردود المعنوي أو الاجتماعي المتوقع منه، مع نفي أي مردود مادي يمكن أن يعود على الفاعل.

٢- ارتباط قيمة العمل بغاياته المعنوية والإنسانية.

لهذا السبب يلاحظ أن وتيرة العمل التطوعي لا تتراجع مع انخفاض المردود المادي له، إنما بتراجع القيم والحوافز التي تكمن وراءه، وهي القيم والحوافز الدينية والأخلاقية والاجتماعية والإنسانية.

تعريف التطوع في الإسلام:

إن التطوع هو أحد الأمور المهمة جداً في الحياة الاجتماعية، والتي تمثل روح الإسلام في حمايته لأفراد مجتمعه، ونجد أن هذا الموضوع يلقى ترحاباً وتطبيقاً عند الغربيين أكثر من عالمنا الإسلامي على الرغم من أن احتياجات البشر لدينا أكثر من العالم الغربي.

إن عظمة أمر التطوع هو أن الله سبحانه وتعالى عدَّ أى إنسان قام بعمل خير لأخيه الإنسان، كأنما قدم العمل إلى الله سبحانه وتعالى والله هو الذي سيجازيه عليه، وهو أمر دلت عليه الآيات القرآنية الكريمة وأحاديث الرسول ﷺ وسيرة أهل بيته وصحابته ﷺ.

وقد عبر القرآن الكريم عن هذا بقولة: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (البقرة: ٢٤٥). ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ (الحديد: ١١). وفي موضع آخر يأمر الله سبحانه وتعالى بالإنفاق، ثم يعقبها بأن هذا الإنفاق يلقى مردوده من الله ﷻ أضعافاً مضاعفة، وأكثر من ذلك.. ألا وهي المغفرة.

﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ (التغابن: ١٦ - ١٧).

مشروعية العمل التطوعي في المنهج الإسلامي:

لقد حثت النصوص الشرعية على مشروعية العمل التطوعي باعتباره من الأعمال الصالحة التي يتقرب بها العبد إلى الله ﷻ، وهو لا يخرج عن أعمال البر والإحسان والمعروف والصدقة والخير، وقد ثبتت مشروعيته في القرآن الكريم والسنة النبوية العطرة كما سنتناوله في ما يأتى.

أولًا: مشروعية العمل التطوعي في القرآن الكريم:

هناك الكثير من الآيات القرآنية التي تثبت مشروعية العمل التطوعي وتحث عليه، ومنها قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ١٥٨).

وقد جاء في تفسير الثعالبي في رواية الحسن البصري تفسيرًا لهذه الآية الكريمة أنها تعني الدين كله، أي فعل غير الفروض الواجبة من صلاة أو زكاة أو الحج إلى بيت الله تعالى بل تعني جميع أنواع الطاعة التي يتقرب بها العبد لربه سبحانه وتعالى.

وقد رجح علماء التفسير أن قوله ﴿خَيْرًا﴾ إنما يشمل جميع أفعال الخير من الطاعات والأعمال والنوافل المختلفة.

وجاء في سورة الحج ما يدل على إثبات مشروعية العمل التطوعي حيث قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الحج: ٧٧).

وهذا يتناول النصح والمعروف - وإغاثة الملهوف - وكفالة اليتيم، ومساعدة المعسر، ونشر العلم، وتثقيف المجتمع، من خلال دفع المسلم وتشجيعة على التكافل والتراحم وتبادل المنافع والمصالح، الأمر الذي يرفع منزلته عند الله ﷻ.

إن المسلم الذي تعود على حب الخير لا ينتظر الكوارث والحالات الطارئة حتى يبادر إلى الإسهام في الأعمال التطوعية، بل سيدفعه

إيمانه وحبه للعمل الصالح إلى تقديم المساعدة وتقديم المعروف لإخوانه المسلمين في كل الظروف، بل ويداوم على ذلك العمل طلبًا لمحبة الله ﷻ ورضوانه، حيث دلَّ على ذلك الحديث الشريف الذي أكد على أن أحب الأعمال إلى الله ﷻ ما استمر عليه صاحبه، حيث قال رسول الله ﷺ «**إن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل**» (رواه البخاري)، فالعبرة بالقليل الدائم وليس بالكثير المنقطع.

وجاء في آية أخرى من سورة الضحى ما توصي بمراعاة اليتيم والسائل والمحتاج، حيث قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ (الضحى: ٩ - ١٠).

فهي تدعو إلى العمل على مراعاة حقوق الضعفاء والمساكين، وتقديم الخير لهم والرحمة بهم عند التعامل معهم، وهذا يدفع العباد إلى الفوز والتوفيق والرضا الرباني. حيث قال تعالى في صورة الليل: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ (الليل: ٥ - ١٠).

إن ما ذكر آنفًا من الآيات توضح لنا أن مجالات العمل التطوعي كثيرة و متعددة ومتنوعة بالشكل الذي يعكس أهمية العمل التطوعي ومكانته وضرورته للفرد والمجتمع.

والعمل التطوعي من الظواهر الموجودة في المجتمعات، سواء كانت الإسلامية أو غير الإسلامية، ولقد جاء الأمر بالعمل التطوعي

في ديننا الإسلامي ففي صورة الحج قال تعالى: ﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الحج: ٧٧).

وفعل الخير يشمل كل أوجه البر والإحسان والتحلي بمكارم الأخلاق، وإعانة المحتاج، والإحسان إلى الآخرين ومساعدة الفقراء والضعفاء.

وقال الله تعالى في سورة النساء: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ١١٤).

وهنا كلمة الأمر في هذه الآية: تعني العمل التطوعي سواء أكان أمراً بصدقة أو أمراً بمعروف أو أمراً بالسعي بالإصلاح بين الناس.

قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ﴾ (البقرة: ٢٨٢).

فهذه دعوة لمن يعرف الكتابة بأن يتطوع بكتابته ولا يمتنع إذا طلب منه ذلك؛ فالكتابة من نعم الله على العباد التي لا تستقيم أمورهم الدينية ولا الدنيوية إلا بها، فمن أوجه شكر العبد لنعمة الله تعالى التي حباها له أن يتطوع بكتابته حاجات العباد.

قال الله تعالى في سورة الكهف: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا

قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا ﴾ (الكهف: ٩٣ - ٩٨) وتفسيرا لهذه الآيات:

قال ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس: «خرجاً»: أي أجراً عظيماً، يعني أنهم أرادوا أن يجمعوا له من بينهم مالاً يعطونه إياه حتى يجعل بينه وبينهم سداً.

فقال ذو القرنين رافضاً ما أرادوا أن يعطوه له: ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ ﴾ (الكهف: ٩٥) أي إن الذي أعطاني الله من الملك والتمكين خير لي من الذي تجمعونه، كما قال سليمان: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم ﴾ (النمل: ٣٦).

وهكذا قال ذو القرنين؛ إن الذي أنا فيه خير من الذي تبذلونه، ولكن ساعدوني بقوة، أي بعملكم معي وبالأدوات المناسبة ﴿أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِ ﴾ (الكهف: ٩٥ - ٩٦).

قال تعالى في سورة القصص: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ﴾ (القصص: ٢٣ - ٢٤).

وهذا يدل على أن العمل التطوعي الصالح الذي أقدم عليه موسى عليه السلام كان سبباً وفتح خير له عليه الصلاة والسلام، قال تعالى

في سورة الكهف: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ (الكهف: ٨٢).

ولا شك أن العمل التطوعي الذي فيه فائدة الناس والإحسان إليهم بما يتطابق مع شريعتنا من عمل يعد عملًا صالحًا يثاب الإنسان عليه من الله سبحانة وتعالى ومن ذلك:

قال الله تعالى:

١- ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ (التين: ١ - ٨).

٢- كذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ (العصر: ١ - ٣).

٣- قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ (الزلزلة: ٧).

٤- وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٤٠).

ويمكن جمع كل ما تم ذكرة سابقًا في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ (المائدة: ٢).

ثانياً: العمل التطوعي في السنة النبوية:

إن نعم الله على الإنسان كثيرة، فمن هذه النعم البصر والحركة والعقل وكافة الحواس، وقد عبر عن ذلك رسول الله تعالى فيما رواه الشيخان. من حديث أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل سلامى من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس، يعدل بين اثنين صدقة، ويعين الرجل على دابته فيحمل عليها أو يرفع عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة يخطوها إلى المسجد صدقة، ويميط الأذى عن الطريق صدقة**» (رواه البخاري).

وفي صحيح مسلم: من حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنه خلق كل إنسان من بني آدم على ستين وثلاثمائة مفصل، فمن كبر وحمد الله وهلل الله وسبح الله واستغفر الله وعزل حجراً عن طريق الناس، أو شوكة، أو عظماً عن طريق الناس، وأمر بمعروف ونهى عن منكر عدد تلك الستين والثلاثمائة السلامى فإنه يمشى يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار**» - الفتح: كتاب الجهاد:

والسُلامى: هو المفصل، أصله عظام الأصابع وسائر الكف، ثم استعمل في جميع عظام البدن.

والمعنى: أنه واجب على كل مسلم أن يشكر الله بعدد كل مفصل من خلال تقديمه لأي عمل مشروع صدقة لله تعالى على سبيل الشكر له، بأن جعل عظامه مفاصل يستطيع بها، القبض والبسط.

وقد جاء في حديث مسلم عن النبي صلوات الله عليه وسلامه قال: «**من نفَّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسَّر على معسر يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه**» (رواه مسلم).

يقول النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح الحديث: وفيه فضل قضاء حوائج الناس ونفعهم بما تيسر من علم أو مال أو معاونة أو إشاعة أو مصلحة أو نصيحة أو غير ذلك.

وجاء في حديث آخر عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**على كل مسلم صدقة، قالوا: فإن لم يجد؟ قال: فيعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق، قالوا: فإن لم يستطع أو لم يفعل؟ قال: فيعين ذا الحاجة الملهوف، قالوا: فإن لم يفعل؟ قال: فليأمر بالخير أو قال بالمعروف. قالوا: فإن لم يفعل؟ قال: فليمسك عن الشر فإنها له صدقة**» (رواه البخاري: ١، ٢٧- ٣١).

وقد أشارت الأحاديث النبوية الشريفة التي تحث على العمل التطوعي إلى السبل المتعددة لذلك ومنها:

١- الأمر بالعمل التطوعي مع الأمر بالتوحيد

روى الإمام أحمد في المسند باقي مسند الأنصار: عن أبي تميمة عن رجل من قومه أنه أتى رسول الله ﷺ أو قال: شهدت رسول الله ﷺ وأتاه رجل فقال: أنت رسول الله؟ أو قال: أنت محمد؟ قال:

نعم. قال: فـإلام تدعو؟. قال: **أدعو إلى الله وحده من إذا كان بك ضر فدعوته كشفه عنك، ومن إذا أصابك عام سنة فدعوته انبت لك. ومن إذا كنت في أرض قفر فأضللت فدعوته رد عليك.**

قال: فأسلم الرجل، ثم قال: أوصني يا رسول الله.

فقال له: **لا تسبن شيئاً**، أو قال: **أحداً**، شك الحاكم - قال: فما سببت شيئاً بعيراً ولا شاة منذ أوصاني رسول الله ﷺ. **ولا تزهد في المعروف ولو ببسط وجهك إلى أخيك وأنت تكلمه، وأفرغ من دلوك في إناء المستسقي.**

وقال ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**».

٢- الصبر والصفح عمل جليل من الأعمال التطوعية، ففي سنن أبي داود كتاب الأدب: عن عبدالرحمن بن عجلان قال: قال رسول الله ﷺ: «**أيعجز أحدكم أن يكون مثل أبي ضمضم، قال: ومن أبو ضمضم قال: رجل فيمن كان قبلكم بمعناه: قال: عرضي لمن شتمني**».

٣- محبة النبي ﷺ البالغة لأهل الأعمال التطوعية وعنايته بهم، وتفقده لهم.

روى البخاري ومسلم وابن ماجه بإسناد صحيح واللفظ له: عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن امرأة سوداء كانت تقم المسجد، ففقدها رسول

الله ﷺ فسأل عنها بعد أيام فقيل له إنها ماتت، فقال: «**فهلا أذنتموني**» فأتي قبرها فصلى عليها.

٤- القربات كلها أعمال تطوعية لا يجوز أخذ الأجرة عليها، وإنما يعطي ولي أمر المسلمين للقائم عليها رزقاً من بيت المال:

قال ﷺ: «**من أذن سبع سنين محتسباً** (أي متطوعاً) **كتب الله له براءة من النار**» (رواه الترمذي).

٥- الإغاثة، و من أسباب إعانة الله للعبد أن يكون في عون أخيه والجزاء من جنس العمل، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال: رسول الله ﷺ: «**من نفَّس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن يسَّر على معسر يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه**». (رواه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه وأحمد).

وقال صلوات الله عليه وسلامه: «**من مشى في حاجة أخيه كان خيراً له من اعتكاف عشر سنوات**» (أخرجه الطبراني في الكبير و الحاكم).

وقال صلوات الله عليه وسلامه: «**مثل المومنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا إشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**» (رواه احمد ومسلم).

٦- مساعدة ومعاونة ذوي الاحتياجات الخاصة من أفضل الأعمال، وكف الشر عن الناس درجة عليا من درجات العمل التطوعي.

عن أبـي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت: يا رسول الله، أي الأعمال أفضل؟ قال: «**الإيمان بالله، والجهاد في سبيله**». قلت: أي الرقاب أفضل؟ **قال:** «**أنفسها عند أهلها وأكثرها ثمناً**». قال: قلت: فإن لم أفعل؟ **قال:** «**تعين صانعاً أو تصنع لأخرق**» قال: قلت: يا رسول الله إن ضعفت عن بعض العمل؟ **قال:** «**تكف شرك عن الناس فإنها صدقة منك على نفسك**» (رواه مسلم - متفق عليه).

والضائع: ذو الضّياع من فقر أو عيال كثير.

وقال أهل اللغة: رجل أخرق: لا صنعة له: أي غير صانع.

(تكف شرك عن الناس فإنها صدقة منك على نفسك).

٧- وقال ﷺ في فضل مساعدة الأرامل والمساكين «**الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو القائم الليل الصائم النهار**» (متفق عليه).

ثالثاً: مكانة الأعمال التطوعية في الإسلام من خلال فقه الأمة

لقد قررت الشريعة الإسلامية ووضحت صورًا كثيرة من صور العمل التطوعي، ففرق علماء الإسلام وفقهاؤه بين عقود المعاوضات: كالبيع والشراء والإجارة والمساقاة والمزارعة والشركات، وبين عقود الإرفاقات: كالهبة والعطية والوصية وغير ذلك.

كما أنهم أفردوا أبواباً في كتب الحديث والفقه لبيان الأحكام التفصيلية لكثير من الأعمال التطوعية:

(١) بـاب في بيان أحكام الكفالـة: وهي عمل تطوعي يتضمن: التزام رشيد بإعادة من عليه حق إلى صاحبه.

(٢) بـاب في بيان أحكام الوكالـة: وهي استنابة جائز التصرف مثله فيما تدخلـه النيابة. وهي صورة من صور العمل التطوعي حينما تكون وكالة بغير أجر.

(٣) باب في بيان أحكام الوديعة: وهي المال المدفوع إلى من يحفظه بلا عوض.

(٤) بـاب في بيان أحكام اللقطة واللقيـط: وهو الطفل المنبوذ الذي يوجـد ملقياً على قارعـة الطريق فيتطوع مسلـم بأخذه ورعايته والعناية به.

وكل فروضـ الكفايات في الفقه فيما يخص الأعمال البدنية هي عمل تطوعي مادام أن هناك أناسًا يبادرون إلى القيام بها.

حيـث إن فرضـ الكفاية عند أهـل الأصول: هـو العمل الشرعي المطلوب إقامته، فإذا قام به من يكفي سقط الإثم عن الباقين.

لذا فإن تنافس المسلمين على القيام بفرض الكفاية في المنافع المتعددة صورة من صور العمل التطوعي مثل: العناية باللقيط، والأمر بالمعـروف والنهـي عـن المنكر، وتغسيـل الموتى ودفنهـم والصلاة عليهم، وإنقاذ الغرقى والحرقى وأصحاب الهدم، وإرشاد الضال وما إلى ذلك.

لماذا يهتم البشر وخاصة المسلمين بالعمل التطوعي

قال تعالى:

١- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴾ (البينة: ٧).

٢- ﴿ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞ ﴾ (الحشر: ٩).

٣- ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ (النحل: ٩٠).

٤- ﴿ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ٨ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ﴾ (الإنسان: ٨ - ٩).

إن أي عمل يقوم به البشر سواء كان العمل فرديًا أو مؤسسات أهلية.. هو من الأعمال التطوعية في سبيل تقدم مجتمعاتنا؛ ففي ظل العالم المادي الذي نعيش فيه وفي ظل التعاملات المادية التي لا تقدم لك شيئاً إلا وتأخذ منك مقابله أشياء أخرى مازال هناك هؤلاء البشر الذين يقدمون لنا هذه الأعمال التطوعية الخيرية، ومنتهى آمالهم هو رضا الله سبحانه وتعالى.

ولذلك فهم جديرون بالأوصاف التي وصفهم بها القرآن الكريم،التي أوردنا بعضها القليل سابقًا.

فضائل التطوع وفعل الخير في الإسلام:

إن فضائل التطوع وفعل الخير في الإسلام كثيرة متعددة؛ ولذلك جاء الحث على ذلك فقد جاء ذلك في الكتاب والسنة حيث قال تعالى:

- ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴾ (الأنبياء: ٧٣).
- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (الحج: ٧٧).
- ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة: ١٤٨).
- ﴿ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (المائدة: ٤٨).

مجالات العمل التطوعي:

التطوع يسع كل المجالات النافعة والمفيدة، وأبرزها:

١- **مجال العبادة**، فالديانة ليست فروضًا عباديه تعتمدعلى الفرائض والواجبات فقط، بل تتعدى ذلك من خلال التطوع بالنوافل والسنن والقربات، وهذا مجال متاح للتنافس والتسابق في كافة أنواع العبادات كالصلاة والصيام والصدقات والحج وغيرها.

٢- **المجالات العلمية**، كإنشاء المكتبات والمدارس والجامعات والمؤسسات العلمية كافة التي لا يكون هدفها الربح المالي.

٣- **المجالات المالية**، التي تتطلب الدعم المالي وتقديمه من أجل نفع الناس ومساعدتهم.

٤- **المجالات الحرفية**، من خلال التطوع فيما يمتاز به الفرد ويتقنه من أنواع الحرف المفيدة النافعة.

٥- **المجالات الإدارية**، ولها فروع عدة، حيث إن الإدارة أصبحت فنًا وجودة وإتقانًا، فالإداري الناجح في عمله إن تطوع أفاد وقدم الكثير.

٦- **المجالات الفكرية**، من خلال الآراء والنصائح ذات القيمة، والخطط الموجهة.

٧- **مجالات الخدمات العامة التخصصية**، (صحة البيئة وصحة المجتمع والخدمات البلدية... إلخ).

نماذج وأمثلة وقدوات مضيئه في العمل التطوعي في صدر الإسلام

النموذج الأول:

مشاركة النبي ﷺ في بناء الكعبة:

من حديث أبي الطفيل رضي الله عنه قال: كانت الكعبة في الجاهلية مبنية بالرضم (الصخور)، وكانت غير مسقوفة، إنما توضع ثيابها عليها ثم تسدل سدلاً، وكان الركن الأسود موضوعاً على سورها تأدباً، وكانت ذات ركنين كهيئة الحلقة.... إلى أن قال: فهدمتها قريش وجعلوا يبنونها بحجارة الوادي تحملها قريش على رقابها، فرفعوها في السماء عشرين ذراعاً، فبينما النبي ﷺ يحمل حجارة من أجياد وعليه نمرة، فضاقت عليه النمرة، فذهب يضع النمرة على عاتقه فترى عورته من صغر النمرة، فنودي يا محمد، خمر عورتك، فلم ير عرياناً، وكان يرى بين الكعبة وبين ما أنزل عليه خمس سنين، وبين مخرجه وبنيانها خمس عشرة سنة. أخرجه الطبراني في الكبير وأحمد طرفاً منه ورجالهما رجال الصحيح، كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد.

النموذج الثاني:

وضع النبي ﷺ الحجر الأسود في مكانه:

فقد روى علي رضي الله عنه أنه لما أرادوا (يعني قريشاً) أن يرفعوا الحجر اختصموا فيه، فقالوا: يحكم بيننا أول رجل يخرج من هذه

السكـة، قال: وكان رسول الله ﷺ أول من خـرج عليهم، فجعلوه (أي الحجـر) في مرط، ثم رفعـه جميع القبائل كلهـا، ورسول الله يومئذ رجـل شاب يعني قبـل البعثة، وفي رواية (لما رأوا النبي ﷺ قالوا: قد جاء الأمين).

قال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط. ورواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي.

النموذج الثالث:

شهـادة أم المؤمنيـن خديجـة رضي الله عنها لرسـول الله ﷺ، وذلـك أنـه لمـا رأى جبريـل عليه السلام ونـزل عليـه بقـول الله تعالـى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ﴾ (العلق: ١ - ٣) رجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد فقال: زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة، وأخبرها الخبر: **لقد خشيت على نفسي**. فقالت خديجة: «**كلا والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق... الحديث**» (متفق عليه).

النموذج الرابع:

مشاركته عليه الصلاة والسلام وهو غلام مع عمومته حلف الفضول:

وحلف الفضول كما قـال محمد بن إسحاق: أن قبائل من قريش

تمت دعوتهم إلى حلف فاجتمعوا له في دار عبدالله ابن جدعان لشرفه وعمره.

وكان حلفهم يتكون من بني هاشم، وبني عبدالمطلب، وبني أسد ابن عبدالعزى، وزهرة بن كلاب وتيم بن مرة.

فتعاهدوا وتعاقدوا على أن لا يجدوا مظلوماً من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا كانوا معه، ويكونوا على من ظلم حتى يردوا عليه مظلمته، فأطلقت قريش على ذلك الحلف حلف الفضول.

قال ﷺ: «**شهدت حلف المطيبين مع عمومتي وأنا غلام، فما أحب أن لي حمر النعم، وأني أنكثه**».

أخرجه الإمام أحمد وأبو يعلى والبزار، وقال الساعاتي في الفتح الرباني: الحديث إسناده صحيح.

النموذج الخامس:

مشاركته ﷺ في بناء المسجد النبوي:

لما بنى النبي ﷺ المسجد جاء أبوبكر بالحجارة، وجاء عمر وجاء عثمان، وكان الصحابة يحملون لبنة لبنة وعمار يحمل لبنتين لبنتين، والنبي ﷺ ينفض التراب عنه والصحابة رضي الله عنهم أجمعين يقولون وهم يشاركون في البناء:

لئن جلسنا والرسول يعمل فذاك من العمل المضلل

وقد بني المسجد باللبـن، وسقفه بالجريد، وأعمدته من خشب النخيل.

النموذج السادس:

نـزول النبـي ﷺ بنفسه في قبـر ذي البجاديـن ومشاركتة في دفنه: من حديث عبـدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه كان يحدث قال: «قمت مـن جوف الليل، وأنـا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، فرأيت شعلة من نـار في ناحية العسكر، فاتبعتها أنظر، قـال: فإذا رسول الله ﷺ وأبوبكر وعمر، وإذا عبدالله ذو البجادين قد مات، وإذا هم قد حفروا لـه، ورسول الله ﷺ في حفرته، وأبوبكر وعمر يدليانه، وإذا هو يقول: «**أدنيـا إليَ أخاكما**» فدليـاه إليه، فلما هيأه لشقه، قال: «**اللهم إني قد أمسيت راضياً عنه فارضى عنه**» قال: يقول ابن مسعود: يا ليتني كنت صاحب الحفرة. (أخرجه ابن منده، والبغوي وأخرجه بن إسحاق في السيرة).

النموذج السابع:

حلب الخليفة الراشد أبي بكر الصديق لجواري الحي منائحهم: أخرج ابن سعد عن ابن عمر وعائشة وابن المسيب وغيرهم رضي الله عنهم دخل حديث بعضهـم في حديث بعض، وكان مما جـاء في الحديث: «وكان يحلـب للحـي أغنامهم، فلما بويـع بالخلافة قالت جاريـة من الحي: الآن لا تحلـب لنا منائـح دارنا، فسمعها أبوبكـر رضي الله عنه فقال: بلى والله لأحلبنهـا لكم، وإني لأرجوا أن لا يغيرني مـا دخلت فيه عن خُلُق كنتُ

عليه، فكان يحلب لهم، فربما قال للجارية من الحي: يا جارية أتحبين أن أرغـي لك (من الإرغاء: الحلـب بحيث يأتي عليه الزبد) أو أصرّح (مـن التصريح: الحلب بدون الزبد)، فربمـا قالت: أرغ وربما قالت: صرح، فأي ذلك قالت فعل.

قـال ابن كثير هذا سياق حسن، وله شواهد من وجوه أخر، ومثل هذا تقبله النفوس وتلقاه بالقبول.

النموذج الثامن:

عمل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وزوجته أم كلثوم بنت علي ﷺ أجمعين في مساعدة امرأة في المخاض:

كان عمـر رضي الله عنه على عادته يتفقد الناس ليـلاً ونهاراً، فإذا ببيت شعـر ينبعث منه أنين امـرأة وعلى بابه رجل قاعـد، فسلَّم عليه عمر وسألـه مـن هو، فأجابه بأنـه رجل من البادية جـاء يصيب من فضل الله: فقـال عمر: ما هذا الصوت الذي أسمعه في البيت؟ قال الرجل: انطلـق رحمـك الله لحاجتك ولا تسأل عما لا يعنيـك، فألح عليه عمر يريد معرفة الأمر، فأجابه: امرأة تمخَض أي على وشك الولادة وليس عندهـا أحد، فعاد عمـر رضي الله عنه إلى منزله وقال لامرأتـه أم كلثوم بنت علـي ﷺ: هل لك في أجر ساقه الله إليـك؟ قالت: وما هو؟ فأخبرها الخبـر وأمرها أن تأخذ معها مـا يحتاج إليه الوليد الجديد من ثياب، ومـا تحتاج إليه المرأة وقدراً وحبوبـاً وسمناً. فجاءت به فحمل القدر

ومشت خلفه حتى انتهى إلى البيت، وقال لامرأته ادخلي إلى المرأة وجلس هو مع الرجل وأوقد النار وطبخ ما جاء به والرجل جالس لا يعلم من هو. وولدت المرأة فقالت أم كلثوم من داخل البيت: بشر يا أمير المؤمنين صاحبك بغلام، فتهيب الأعرابي، وأطعم عمر الرجل من الطعام الذي أعده وأعطى زوجته أم كلثوم فأطعمت المرأة النفساء وقال للرجل: إذا كان غداً فأتنا نأمر لك بما يصلحك، فلما أصبح أتاه ففرض لابنه في الذرية وأعطاه.

النموذج التاسع:

الخليفة الراشد ذو النورين عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أحبه الله ورسوله والمؤمنون وقريش حال جاهليتها لبذله في كل وجوه العمل الخيري التطوعي، حيث كانت المرأة القرشية ترقص طفلها الصغير وتناغيه بقولها: «**أحبك والرحمن حب قريش عثمان**».

وقال فيه ﷺ بعد أن أعطى وأنفق في جيش العسرة وكان يأتي بالمال يحمله بنفسه ويضعه بين يدي رسول الله ﷺ أصفر وأحمر وسلاحاً ونوقاً قال فيه عليه السلام: «**ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم، (مرتين)**». (رواه الترمذي).

النموذج العاشر:

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رابع الخلفاء الراشدين ابن عم النبي ﷺ وزوج ابنته فاطمة سيدة نساء العالمين، ووالد

سيـدي شباب أهل الجنة الحسن والحسيـن ﷺ أجمعين، يكنس بيت المال بنفسه بعد أن يفرغه من كل صفراء وبيضاء.

أخـرج أبـو نعيم في الحلية عـن علي بن ربيعـة الوالبي عن علي ابـن أبي طالب رضي الله عنه قـال: جاءه ابن النبّاج، فقال يـا أمير المؤمنين، امتـلأ بيت مـال المسلمين من كل صفراء وبيضـاء، فقال: الله أكبر، وقام متوكئاً على ابن النبّاج حتى قام على بيت مال المسلمين، فنودي فـي الناس، فأعطى جميع ما في بيت مال المسلمين حتى ما بقي منه دينار ولا درهم، ثم أمر بنضحه وصلى فيه ركعتين.

وعن مجمع التيمي قال: كان علي رضي الله عنه يكنس بيت المال، ويصلي فيـه يتخـذه مسجـداً رجـاء أن يشهد له يـوم القيامـة. وأخرجه ابن عبدالبر في الاستيعاب.

وهكذا كان السلـف الصالح من الصحابة ﷺ والتابعين وعلماء الإسـلام، وقد أثر عن الإمـام المزني - وهو من كبار علماء الشافعية ومن كبار العلماء الذين أخذوا عن الإمام الشافعي - أنه كان محتسباً في تغسيل الموتى.

النموذج الحادى عشر:

عثمـان بن عفان رضي الله عنه وتجهيزه لجيشـ العسرة، حيث تبرع بثلث مالـه لتجهيـز الجيشـ المسلم المتوجه لغـزوة تبـوك.. والذي سمي بجيش عثمان.

النموذج الثانى عشر:

عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وبذله لماله في خدمة الإسلام والمسلمين في حياة الرسول الكريم ﷺ وبعد وفاته. وإذا كانت الثروات تحصى بأعداد رصيدها وأرباحها فإن ثروة عبد الرحمن بن عوف إنما تعرف مقاديرها وأعدادها بما كان ينفق منها في سبيل الله رب العالمين..!!

لقد سمع رسول الله يقول له يومًا: «**يا بن عوف، إنك من الأغنياء.. وإنك ستدخل الجنة حبوًا.. فأقرض الله يطلق لك قدميك**».

باع في يوم أرضًا بأربعين ألف دينار، ثم فرّقها في أهله من بني زهرة، وعلى أمهات المؤمنين، وفقراء المسلمين.

وقدّم يومًا لجيوش الإسلام خمس مئة فرس، ويومًا آخر ألفًا وخمس مئة راحلة.

وعند موته، أوصى بخمسين ألف دينار في سبيل الله، وأوصى لكل من بقي ممن شهدوا بدرًا بأربع مئة دينار، حتى إن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخذ نصيبه من الوصية برغم ثرائه وقال: «إن مال عبد الرحمن حلال صفو، وإن الطعمة منه عافية وبركة».

النموذج الثالث عشر:

عبد الله بن عمر: يحدثنا أيوب بن وائل الراسبي عن أحد مكرماته، فيخبرنا أن ابن عمر جاءه يومًا بأربعة آلاف درهم وقطيفة..

وفي اليـوم التالي، رآه أيوب بن وائل في السـوق يشتري لراحلته علفًا نسيئـة (أي من خلال قرض)..فذهب ابن وائل إلى أهل بيته وسألهم أليس قد أتى لأبي عبدالرحمن - يعني ابن عمر - بالأمس أربعة آلاف وقطيفـة..؟ قالوا: بلى..قال: فإني قد رأيته اليـوم بالسوق يشتر علفًا لراحلتـه ولا يجـد معه ثمنه..قالـوا: إنه لم يبت بالأمـس حتى فرقها جميعهـا، ثم أخذ القطيفة وألقاها على ظهره، خرج.. ثم عاد وليست معه، فسألناه عنها. فقال: إنه وهبها لفقير..!!فخرج ابن وائل يضرب كفًـا بكف. حتى أتـى السوق فصاح في الناس: «يـا معشر التجار..ما تصنعون بالدنيا، وهذا ابن عمر تأتيه ألف درهم فيوزعها، ثم يصبح فيستدين علفًا لراحلته»..؟؟!!

النموذج الرابع عشر:

صهيب بن سنان: وكان جوادًا معطاء.. ينفق كل عطائه من بيت المال في سبيل الله، يعين محتاجًا.. يغيث مكروبًا.. ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (الإنسان: ٨).

حتـى لقد أثار سخاؤه المفرط انتباه عمـر فقال له: أراك تطعم كثيـرًا حتى إنـك لتسرف..؟ فأجابـه صهيب لقد سمعـت رسول الله يقول: «**خياركم من أطعم الطعام**».

النموذج الخامس عشر:

سلمـان الفارسي: فقد كان عطاؤه وفيرًا.. كان دخله أربعة وستة آلاف درهم في العام، بيد أنه كان يوزعه جميعًا، ويرفض أن يناله منه درهم واحد، ويقول:

«أشتـري خوصًا بدرهم، فأعمله، ثم أبيعه بثلاثة دراهم، فأعيد درهمًـا فيه، وأنفق درهمًا على عيالي، وأتصدّق بالثالث.. ولو أن عمر ابن الخطاب نهاني عن ذلك ما انتهيت».

نماذج مضيئه في عمل الخير من النساء المسلمات:

سوف نسـرد هنا بعض النماذج من سلفنا الصالح رضوان الله عليهـم.. وكيف تطوعـوا للعمل الخيـري.. وكيف استغلـت كل واحدة منهن رضي الله عنهن وقتها في عمل الخير ونقول:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فلاح

على رأس هؤلاء:

أولاً: خديجـه بنت خويلـد أم المومنين رضي الله عنها، فقد بذلت جهدها ومالهـا في مؤازرة الرسـول ﷺ، فقال عنها: «**وواستني فـي مالها إذ حرمني الناس**».

ثانيًـا: أم المؤمنيـن زينـب بنـت جحش حيـث قـال فيها رضي الله عنها الرسـول ﷺ «**أسرعكن لحاقاً بي أطولكن يداً**» (رواه مسلم) والمقصود بطـول اليد: كثرة مدها بالعطـاء للفقراء، فقد كانت رضي الله عنها تعمل بيدها وتتصـدق على الفقراء، وتقـول عنها عائشه رضي الله عنها: «**ولـم أر أمراة قط خيـراً فـي الديـن من زينب بنـت جحش، وأتقى لله وأصـدق حديثاً وأوصل للرحم وأعظم صدقة وأشد ابتذالاً لنفسها في العمل الذي تتصدق به وتتقرب به لله تعالى**» (رواه مسلم).

ثالثًا: أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما: تضحي بنطاقها وتشقه نصفين وهو أغلى وأثمن ما تملك رضي الله عنها تقول: «صنعت سفره للنبي ﷺ وأبي بكر حين أرادا المدينه، فقلت لأبي: ما أجد شيئاً أربطه الإ نطاقي، قال: فشقيه، ففعلت، فسميت ذات النطاقين» (رواه البخارى).

فمن الآن تفعل ما فعلت السيدة أسماء رضي الله عنها وتضحي بوقتها ومالها في سبيل الله، وتعمل على رفعة أمر الدين وتيسير حاجات الفقراء والمساكين.

رابعًا: الشفاء بنت عبدالله رضي الله عنها التي كانت تعلم نساء النبي ﷺ خاصة حفصة رضي الله عنها القراءة والكتابة.

خامسًا: وفي مجال الجهاد والغزو: (هذه أم عطية) تقول: «غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات أخلفهم في رحالهم وأصنع لهم الطعام» (رواه مسلم).

سادسًا: السيدة رفيدة الأسلمية أول مسعفة (ممرضة) في الإسلام، ولقد بنت لها خيمة في مسجد رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام تستقبل فيها الجرحى والمصابين.

سابعًا: أم سليم بنت ملحان رضي الله عنها، بحبها للخير وخدمة المسلمين، فقد كانت يوم أحد هي وعائشه رضي الله عنها تنقلان القرب على متونهما ثم تفرغانه في أفواه الصحابة، ثم ترجعان فتملآنهما وهكذا، ويقول عنها أنس رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ يغزو بأم سليم ونسوة من الأنصار إذا غزا يداوين الجرحى.

ثامنًا: امرأة اسمها آمنه بنت الشيخ إسماعيل بن عبدالله الحلبي المعروفة بالنقاش: امراة عاقلة سديدة الرأى حازمة عالية الهمة تحب العلماء والصالحين، وكانت تدور على بيوت الفقراء وتتفقدهم بالعطايا الوافرة والصلات النافعة، ومن مآثرها الكبيرة (المدرسة الإصلاحية) أسستها سنة ٧٣٠ هـ، ورتبت فيها إماماً وقيماً ومدرساً للشريعة، كما شيدت عدة مدارس ومساجد، إن المهمه التي تكفلت بها آمنه لم تكن فقط تفقد بيوت الفقراء، وإنما كانت تسأل عن أحوالهم لا لإضاعه الوقت بالحديث؛ وإنما لتبني على هذا الحديث عملاً خيرياً إيجابياً يعود على الأمه بالنفع والخير. المرجع - معجم النساء اليمنيات، عبدالله الحبشي.

تاسعًا: امراة أخرى اسمها حلل بنت عبدالله الحسين رحمها الله: من النفوس الخيرة التي لا يقر لها قرار إلا بفعل الخير والعمل الصالح، فقد ابتنت مدرسة، وبلغ من شدة حبها للخير أنها أوقفت دارها التي كانت تسكنها مدرسة وخرجت من بيتها إلى موضع أقامته بالقرب من المدرسة، كما كانت من المتصدقات المحسنات، وكانت تأمر من يبحث لها عن الأيتام ويأتي لها بهم فتكسوهم وتحسن إليهم، فهي لم تكتف بالإنفاق على المحتاجين وإنما شكلت دوريات خيريه وكما أن في المجتمع وجودًا للدوريات الداخلية فكذلك ينبغي أن تكون هناك دوريات تتبع أهل الخير تبحث عن أهل الحاجة من الفقراء والمساكين، وهذا مثال للنفوس المؤمنة التي تفكر في غيرها وتستغل وقتها من أجل طاعة ربها تبارك وتعالى.

الحافز على العمل التطوعي في الإسلام

من خلال سردنا لمشروعية الأعمال التطوعية ومكانتها في الإسلام من خلال آيات القرآن الكريم، والسنة النبوية، وفقه الأمة يمكن أن نستخلص الحوافز والمثيرات ونلخصها في المعددات الآتية:

أولاً: وعد الله تبارك وتعالى أهل الإيمان المتطوعين بأعمال الإحسان المسارعين بجنة عرضها السموات والأرض.

حيث قال الإله الحق المبين: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾.

ثانياً: وصفهم رب العزة من خلال الآيات السابقة بأنهم أهل الإحسان والتقوى.

ثالثاً: وبشرهم تعالى أنه يحبهم ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾.

رابعاً: جاء في آية قرآنية أن كلام الناس وأحاديثهم ومحاوراتهم في مجالسهم ومنتدياتهم ومنابرهم لا خير في كثير منه إلا ما كان مداره على الحديث في نفع الناس وإصلاح ذات بينهم. قال تعالى: ﴿ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ ﴾ (النساء: ١١٤).

خامساً: وعد الله من تطوع بذلك مبتغياً به وجه الله وطالباً رضاه بالأجر العظيم والعطاء الكثير الجزيل الواسع، والجزاء المضاعف أضعافاً كثيرة. قال تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ١١٤).

سادساً: أن العمل التطوعي عبادة عظمى اسمها الشكر لنعم الله على عبده من صحة وعافية وحواس سليمة وبدن معافي، والإيمان نصفان نصف شكر ونصف صبر، والشكر الحقيقي هو ما اجتمع فيه قول اللسان وعمل الجوارح بكفها عن معصية الله وتسخيرها في طاعته، قال تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ (سبأ: ١٣).

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ﴾ (البقرة: ٢٨٢)، وقال ﷺ: «**كل سلامى من الناس عليه صدقة**».

سابعاً: اعتناء النبي ﷺ بالأعمال التطوعية، حتى إنه عليه الصلاة والسلام أعطاها من نفسه وقلبه ولفظه، وعدد منها وهو الذي أوتي جوامع الكلم وفواتحه وخواتمه أربع عشرة صورة من صور العمل التطوعي في حديث واحد ترغيباً إليها وحثاً عليها وهي:

(١) السلام بين الناس صدقة.

(٢) العدل بين الناس صدقة.

(٣) مساعدة الرجل على دابته فتحمله عليها صدقة.

(٤) رفع المتاع للرجل على دابته صدقة.

(٥) الكلام مع الناس بكلام طيب صدقة.

(٦) إزالة الأذى عن الطريق صدقة.

(٧) السلام على عباد الله صدقة.

(٨) الأمر بالمعروف صدقة.

(٩) النهي عن المنكر صدقة.

(١٠) إبعاد الحجر عن طريق الناس صدقة.

(١١) إزاحة شوكة عن طريق الناس صدقة.

(١٢) إزاحة عظماً عن طريق الناس صدقة.

(١٣) إعانة الضائع صدقة.

(١٤) مساعدة الصانع صدقة.

ثامناً: إعلام النبي ﷺ لأمته أن هذا العمل التطوعي المندوب إليه شكراً على نعمة المفاصل في ثلاث مئة وستين صورة على عدد المفاصل ليس لمرة واحدة في العمر، وإنما هو عمل يتجدد طلب فعله مع كل طلوع شمس لكل يوم.

فقال ﷺ: «**كل يوم تطلع فيه الشمس**».

تاسعاً: بشارته ﷺ لكل رجل من أمته تصدق عن مفاصله كل يوم بما أرشده إليه بأنه يسير حينئذ على الأرض وقد باعد نفسه عن نار جهنم، وكان مهيئاً لدخول الجنة، فقال ﷺ: «**فإنه يمشي يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار**».

عاشراً: أمر النبي ﷺ بالعمل التطوعي مع أمره بالتوحيد، حيث قال للأعرابي في الحديث الذي مر ذكره ورواه الإمام أحمد: **«إني أدعو إلى الله وحده، وبين وجه استحقاق الله للعبودية بثبوت ربوبيته، فلما أسلم الأعرابي: أوصاه بأن لا يسب شيئاً، وأن يبسط وجهه إلى أخيه، وأن يفرغ من دلوه في إناء المستسقي».**

الحادي عشر: العمل التطوعي إيمان صادق، حيث عده النبي ﷺ من شعب الإيمان التي أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق.

الثاني عشر: محبة النبي ﷺ البالغة لأهل الأعمال التطوعية وعنايته بهم وتفقده لهم. كما فعل مع المرأة السوداء التي كانت تقمّ المسجد.

الثالث عشر: أن الله تعالى تفضلاً وتكرماً منه يكون معيناً لعبده المتطوع الذي يكون في عون أخيه.

الرابع عشر: سعة مفهوم الشريعة للعمل التطوعي، حتى إنها حين لا يجد المسلم أي عمل خير يمكن أن يقدمه إلى مجتمعه وأمته بالفعل فإنه يمكن لكل أحد أن يقدم عملاً صالحاً لمجتمعه وأمته ولنفسه بالترك، بحيث إذا عجز عن ذلك أجمع فإنه يكف شره عن الناس فإنها صدقة منه على نفسه وعلى الناس، ولا يعجز ولو أن يكون كأبي ضمضم فيتصدق بعرضه على من شتمه.

الخامس عشر: أن العمل التطوعي ولو كان في حجم الذرة فإن الله تبارك وتعالى يباركه وينميه ولا يضيع أجر من أحسن عملًا ولا يظلم مثقال ذرة. قال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴾ (الزلزلة: ٧).

السادس عشر: إن العمل التطوعي المحمود لا يقتصر على المقدم للإنسان، وإنما يشمل حتى الحيوان والطير وغيرها، كما أن العمل التطوعي ربما كان سبباً رئيساً من أسباب المغفرة ولو مع وجود كبائر الذنوب كما غفر الله للبغي الزانية من بني إسرائيل؛ لأنها رحمت الكلب الذي رأته عطشاناً فملأت حذاءها ماءً من البئر وسقت الكلب.

السابع عشر: أن العمل التطوعي سيما أحباب الله وأخلائه والمقربين إليه من خلقه من رسل الله عليهم الصلاة والسلام، وعباد الله الصالحين كمحمد ﷺ وإبراهيم ﷺ وهما الخليلان، وموسى عليه السلام حين سقى للمرأتين وتولى إلى الظل وهو من أولي العزم من الرسل، وكفعل الخضر مع الغلامين صاحبي الجدار، وكعمل ذي القرنين مع البشرية جمعاء.

الثامن عشر: لما كان عمل ذي القرنين جليلاً أثنى الله عليه في القرآن، وذكر لنا خبره وبلوغه مغرب الشمس ومطلعها وبين السدين، وذكر لنا قصة بناء السد، كما ذكر الله ﷻ النملة في القرآن حين اعتذرت عن نبي من أنبيائه، وذكر كلب أصحاب الكهف حين رافق

الصالحين، وذكر الإبل في إتيانها ضامرة من كل فج عميق قاصدة بيته العتيق لما رافقت الحجاج من عباده، وأقسم بالخيل وهي المشاركة لعباده في الجهاد.

التاسع عشر: أن العمل التطوعي صورة عظمى من صور التعاون على البر والتقوى التي هي سيما أهل الإسلام.

آثار التطوع:

١- كسب الأجر والثواب في الدنيا والآخرة.

٢- حل المشاكل والمعضلات الاجتماعية وخاصة وقت الأزمات.

٣- التآلف ونشر المحبة بين الناس، ومعالجة النظرة العدائية أو التشاؤمية تجاه الآخرين والحياة.

٤- التكافل والتعاون بين أفراد المجتمع.

٥- الزيادة من قدرة الإنسان على التفاعل والتواصل مع الآخرين، والحد من النزوع إلى الفردية وتنمية الحس الاجتماعي.

٦- تهذيب الشخصيّة ورفع عقلية الشح وتحويلها إلى عقلية الوفرة والكسب الأعظم مصداقاً للآية الكريمة: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر: ٩).

٧- العمل التطوعي يتيح للإنسان تعلم مهارات جديدة أو تحسين مهارات يمتلكها.

هـذا وسوف ننظر في البـاب الثاني (فوائد التطـوع على الفرد والمجتمع) نظـرة تحليلية علمية حول أهمية التطوع والعمل التطوعي لمجتمعاتنـا العربيـة، وخاصـة في هذا الوقـت الذي يشهـد تغيرات متلاحقـة وسريعـة سواء علـى مستـوى السياسـات أو علـى مستوى المجتمعـات أو على مستوى الأفراد من حيث كـم المشكلات الكثيرة والمختلفـة التـي أفرزها هـذا القرن، ومـدى الحاجـة لتفعيل العمل التطوعـي ومشاركتـه للحكومـات في أعمـال التنميـة المختلفة وحل المشـكلات التي افرزهـا هذا القرن مـن تأثير على القيـم والعقائد والعادات والتقاليد.